

تفسير البحر المحيط

@ 421 @ بالنبوة قدر يهدي □ إلى نبوته . وقيل : إلى الاستدلال بالآيات ، ثم ذكر تعالى أنه يضرب الأمثال للناس ليقع لهم العبرة والنظر المؤدّي إلى الإيمان ، ثم ذكر إحاطة علمه بالأشياء فهو يضع هداه عند من يشاء . { فَرَى بُيُوتَ } متعلق بيوقد قاله الرمانى ، أو في موضع الصفة لقوله { كَمَشْكَاةٍ } أي كمشكاة في بيوت قاله الحوفي ، وتبعه الزمخشري قال { كَمَشْكَاةٍ } في بعض بيوت □ وهي المساجد . وقال { مَثَلُ نُورِهِ } كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت انتهى . وقوله كأنه إلى آخره تفسير معنى لا تفسير إعراب أو في موضع الصفة لمصباح أي مصباح { فَرَى بُيُوتَ } قاله بعضهم أو في موضع الصفة لزجاجة قاله بعضهم ، وعلى هذه الأقوال الأربعة لا يوقف على قوله { عَلِيمٌ } . وقيل : { فَرَى بُيُوتَ } مستأنف والعامل فيه { يُسَبِّحُ } حكاه أبو حاتم وجوزه الزمخشري . فقال : وقد ذكر تعلقه بكمشكاة قال : أو بما بعده وهو { يُسَبِّحُ } أي { يُسَبِّحُ لَهُ } { رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله { وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى } أي سبحوا في بيوت انتهى . وعلى هذا الأقوال الثلاثة يوقف على قوله { عَلِيمٌ } والذي اختاره أن يتعلق { فَرَى بُيُوتَ } بقوله { يُسَبِّحُ } وإن ارتباط هذه بما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر أنه يهدي لنوره من يشاء ذكر حال من حصلت له الهداية لذلك النور وهم المؤمنون ، ثم ذكر أشرف عبادتهم القلبية وهو تنزيههم □ عن النقائص وإظهار ذلك بالتلفظ به في مساجد الجماعات ، ثم ذكر سائر أوصافهم من التزام ذكر □ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وخوفهم ما يكون في البعث . ولذلك جاء مقابل المؤمنين وهم الكفار في قوله { وَالَّذِينَ كَفَرُوا } وكأنه لما ذكرت الهداية للنور جاء في التقسيم لقابل الهداية وعدم قابلها ، فبدء بالمؤمن وما تأثر به من أنواع الهدى ثم ذكر الكافر . والظاهر أن قوله { فَرَى بُيُوتَ } أريد به مدلوله من الجمعية . .

وقال الحسن : أريد به بيت المقدس ، وسمى بيوتاً من حيث فيه يتحيز بعضها عن بعض ، ويؤثر أن عادة بني إسرائيل في وقيدته في غاية التهمم والزيت مختوم على ظروفه وقد صنع صنعة وقدس حتى لا يجري الوقيد بغيره ، فكان أضواء بيوت الأرض . والظاهر أن { فَرَى بُيُوتَ } مطلق فيصدق على المساجد والبيوت التي تقع فيها الصلاة والعلم . وقال مجاهد : بيوت الرسول صلى □ عليه وسلم) . وقال ابن عباس والحسن أيضاً ومجاهد : هي المساجد التي من عاداتها أن تنور بذلك النوع من المصابيح . وقيل : الكعبة وبيت المقدس ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ومسجد قباء . وقيل : بيوت الأنبياء . ويقوي أنها المساجد قوله { يُسَبِّحُ }

لَمْهُ فَرِيهًا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ { وَإِذْ نَزَّلْنَا الذُّرُورَ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِّنُخْرِجَ بِهِ لَشَابًا مَّنضُوحًا } وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ { وَقِيلَ : { تَرْفَعُ } تَرْفَعُ مِنَ الْأَنْجَاسِ وَالْمَعَاصِي . وَقِيلَ : { تَرْفَعُ } تَرْفَعُ فِيهَا الْحَوَائِجُ إِلَى الْإِثْمِ . وَقِيلَ : { تَرْفَعُ } الْأَصْوَاتُ بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ .

{ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُ } ظَاهِرُهُ مُطْلَقُ الذِّكْرِ فَيَعْمُ كُلُّ ذِكْرٍ عَمُومِ الْبَدَلِ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : تَوْحِيدُهُ وَهُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَعَنْهُ : يَتْلَى فِيهَا كِتَابُهُ . وَقِيلَ : أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى .

وَقِيلَ : يَصَلَّى فِيهَا . وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ { يُسَبِّحُ } بِكَسْرِ الْبَاءِ وَبِالْيَاءِ مِنْ تَحْتِ ، وَابْنُ وَثَابٍ وَأَبُو حَيَّةٍ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ بِالتَّاءِ مِنْ فَوْقِ ، وَابْنُ عَامِرٍ وَأَبُو بَكْرِ وَابْنُ الْحَثَرِيِّ عَنْ حَفْصٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ وَالْمُهَاسِنِيُّ عَنْ يَعْقُوبٍ وَالْمُفَضَّلِيُّ وَأَبَانُ بِفَتْحِهَا وَبِالْيَاءِ مِنْ تَحْتِ وَاحِدِ الْمَجْرُورَاتِ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ فَاعِلُهُ ، وَالْأَوَّلَى الَّذِي يَلِي الْفِعْلَ لِأَنَّهُ طَلَبُ الْفِعْلِ لِلْمَرْفُوعِ أَقْوَى مِنْ طَلَبِهِ لِلْمَنْصُوبِ الْفَضْلَةَ . وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ : تَسْبِيحٌ بِالتَّاءِ مِنْ فَوْقِ وَفَتْحِ الْبَاءِ .

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : وَوَجْهٌ أَنَّ تَسْنِدَ إِلَى أَوْقَاتِ الْغَدُوِّ وَالْآصَالِ عَلَى زِيَادَةِ الْبَاءِ ، وَتَجْعَلُ الْأَوْقَاتَ مَسْبُوحَةً . وَالْمُرَادُ بِهَا كَمَيْدٍ عَلَيْهِ يَوْمَانُ وَالْمُرَادُ وَحْشُهُمَا أَنْتَهَى . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَفْعُولُ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ فَاعِلُهُ ضَمِيرُ التَّسْبِيحَةِ الدَّالُّ عَلَيْهِ { تُسَبِّحُ } أَيُّ تَسْبِيحٍ لَهُ هِيَ أَيُّ التَّسْبِيحَةِ كَمَا قَالُوا { لِيَجْزِيََ قَوْمًا } فِي قِرَاءَةٍ مِنْ بِنَاءٍ لِلْمَفْعُولِ أَيُّ لِيَجْزِيََ هُوَ أَيُّ الْجَزَاءِ .

وَقَرَأَ أَبُو مَجْلَزٍ : وَالْإِصْصَالُ وَتَقْدِيمُ نَظِيرِهِ وَارْتِفَاعُ { رَجَالُ } عَلَى هَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ بِإِضْمَارِ فِعْلِ أَيُّ { يُسَبِّحُ } أَوْ يَسْبَحُ لَهُ رَجَالٌ . وَاخْتَلَفَ فِي اقْتِيَاسِ هَذَا ، فَعَلَى اقْتِيَاسِهِ نَحْوُ ضَرَبْتِ هَنْدَ زَيْدًا أَيْ ضَرَبْتُهَا زَيْدٌ ، وَيَجُوزُ أَنْ